1. توريث السلطة في مصر: الملف الكامل[1]

بقلم هويدا طه

منذ سنوات وسنوات وحتى هذه اللحظة يدور شدٌ وجذب بين طرفين في مصر، يشهده طرفان آخران عن بُعد، الطرف الأول فئة من المثقفين المصريين لديهم (شكوك) بشأن سعي الرئيس مبارك إلى توريث السلطة لابنه السيد جمال مبارك، الطرف الثاني هو القصر، الرئيس وعائلته وفرقة دعم تتكون أيضا من مثقفين مضافا إليهم بالطبع بعض رجال الأعمال وبعض المسئولين في النظام الحاكم، طرف ثالث هو العالم.. يراقب وينتظر وقد يتدخل، أما الطرف الرابع فهو الشعب المصري.. الذي لا توجد استطلاعات رأي حقيقية موثقة عن رأيه في قضية (توريث الحكم في نظام جمهوري)، الجميع يتحدث باسمه وهو كالعادة.. لا يبالي.

**

في البدء... كان المثقفون يعلنون شكوكا والقصر ينفي دون أن يجزم، مؤخرا. بدأ شيء يشبه (اللعب ع المكشوف) بين وريث محتمل لسلطة جمهورية ونخبة من المثقفين، فأحدى حلقات برنامج (القاهرة اليوم) الأسبوع الماضي استضافت كاتبا لبنانيا شهيرا هو جهاد الخازن.. في حوارٍ لا تحتاج كثير جهد لتدرك أنه مدروس، حتى أن الضيف بدا وكأنه يقول قولا محفوظا أو متفقا عليه مسبقا! إذ تحدث عن السيد جمال مبارك باعتباره من وجهة نظره.. لا بديل له! معروف عن جهاد الخازن أنه مشهور (بخبرة المرونة) مع الأنظمة العربية المالكة وعلى رأسها النظام السعودي! هذا الضغط الإعلامي المدروس في اتجاه (ألا بديل) للسيد جمال مبارك لحكم مصر.. يدفع دفعا للبحث في نقطتين أساسيتين :

[1] http://www.ouregypt.us/aricalfirstpage/hewaida5.html

أولا: كيف تتعاطى الأطراف الأربعة (عائلة الرئيس مبارك، المثقفون الرافضون للتوريث، العالم، الشعب) مسألة ما اصطلح على تسميته مصريا وعالميا (مخطط التوريث)؟

ثانيا: كيف سيكون الأمر مستقبليا في مصر في الحالتين: ورث السيد جمال مبارك الجمهورية.. أو لم يستطع لظرف ما أن.. يمر!

عائلة الرئيس

(والفتى ساعٍ لأقصى أملٍ . . لم يزل يطلبه حتى بلغ) ! أبو العلاء المعري

**

على مدى سنوات وسنوات منذ ظهر السيد جمال مبارك على المسرح السياسي المصري. لم تسجل للرئيس مبارك أو أيٍ من أفراد عائلته أي إشارة (مباشرة واضحة صريحة) لرغبته في وضع ابنه خليفة له في رئاسة مصر!، جميعنا نعرف أن السيد الرئيس (نفي) ذلك.. بل وله (أقوال مأثورة) في هذا الصدد.. مثل تعليقه الشهير لإحدى وكالات الأنباء حين سئل عن هذا الأمر.. إذ قال (مصر ليست سوريا)، وجميعنا نعرف أن السيد جمال مبارك قال لوكالات أنباء عدة وفي محاضرات ولقاءات عديدة معه إنه (لا يفكر في الترشح للرئاسة)، فلماذا إذن نصدع أنفسنا بتلك الهواجس عن احتمالية أن يرث الابن منصبا من المفترض ألا يورث؟! السؤال بطريقة أخرى: من تراه المستفيد فعليا من طرح هذه المسألة في الشارع السياسي المصري رسميا وشعبيا بهذا الشكل المُلح المتزايد بلا كلل؟

**

ربما يكون المستفيد حقيقة هو عائلة الرئيس نفسها! إذا كانت بالفعل تخطط لفرض السيد جمال مبارك رئيسا لمصر خلفا لأبيه! إذ أن تدرج الأمر على مدى سنين وسنين (يخدر) الشعب ونخبته المثقفة على حدٍ سواء.. بحيث لا يكون التوريث . إذا ما تم . مفاجئا صادما مبلبلا، وبغض النظر عن الطريقة التي يتم بها، وهذا شيء له أساس

في (علم نفس الحشود)! ففي كتابه عن (سيكولوجية السلطة . سيكولوجية الجماهير) نصح جوستاف لوبون . عالم اجتماع نمساوي متميز في القرن التاسع عشر- نصح الملوك كيف يسيطرون على (الغوغاء) ويقصد بهم الشعوب عموما. قال إنه ينبغي على الملوك أن يتركوا هذه الكتل البشرية (فريسة للهواجس) دون أن يريحوهم بمواقف قاطعة! فهذا يتيح الوقت للمليك كي يمضي في تحقيق أهدافه! وفي نصيحة أخرى قال إن الملك عليه أن يدفع أفراد شعبه لأن يكونوا (أسرى للاختلاف حول هدفه) فهذا وضع يكون مصيره النهائي.. تحقق الهدف !

**

عائلة الرئيس مبارك إذن لم تقل أبدا إنها تريد توريث الحكم في نظام جمهوري. وهي تعلم أن الشعب لا يصدقها ونخبة الشعب لا تصدقها.. والعالم لا يصدقها.. بل وحتى الرجال الموالين لها قلبا أو قالبا أو كليهما لا يصدقونها! ومع ذلك ورغم أنه لم يُمسك عليها (قولٌ) واحد يحسم الأمر فإن (أفعالا) تمسك عليها تشي بأن (تحقيق الأهداف ماضٍ بلا كلل)! ولأننا جميعا وقعنا في (فخ) منصوب لنا انشغلنا بأجندة فرضتها العائلة علينا.. وبحكم (طول العشرة) أصبحنا نعرف (نفسية) الرئيس! فهو إلى جانب أنه عُرف عنه (في أدبيات السياسة المصرية) إنه كلما نفي شيئا فإن هذا الشيء سينفذ بعد قليل! عرفنا عنه أيضا أنه ومنذ توليه رئاسة مصر (يخشى) المنافسين.. يقصيهم.. ينفيهم.. يزيحهم.. وإن بطرق سلمية! كلما برزت شخصية يحتمل في بروزها أن تنافس كان مصيرها ذلك الإقصاء، عبد الحليم أبو غزالة وعمرو موسى ليسا الوحيدين! ثم أنه ورغم كل الضغوط عليه لتعيين نائب لم يستجب أبدا.. وبقدرٍ من الحسم يثير الذهول! لكن والحق يقال فإن وجهة نظره في هذا السياق لا تخلو أبدا من منطق! إذ قال ذات مرة في لقاء معه: " إن العُرف في مصر جرى على أن منصب الرئاسة ينتقل تلقائيا لنائب الرئيس إذا ما اختفي الرئيس لسبب من الأسباب.. وإنا لهذا السبب لا أريد أن أفرض على شعبي الرئيس القادم.. لذلك أرفض تعيين نائب

كي أترك الأمور للشعب ليختار الرئيس القادم بنفسه"! والله إنه لرأي وجيه! نشكر سيادة الرئيس عليه !

**

لكن الأيام تثبت أن مسيرة تحقيق هدف العائلة ماضية. فالدستور تغير بكلمة من الرئيس ليصبح ممكنا (اختيار الرئيس من بين مرشحين بالتصويت المباشر) وهذا بالطبع إنجاز لم يسبق له مثيل في تاريخ الشعب المصري المغرق في القدم، إنجاز حتى وإن لم يتم من أجل عيون المصريين.. ولكن؟! ولكن صيغ الدستور – وبكلمة من الرئيس أيضا- كي يفصل تفصيلا لمرشح قادم.. نحن نعرفه والرئيس يعرفه ويعرف أننا نعرف ونعرف أنه يعرف أننا نعرف! والمسيرة تمضي نحو تحقيق الأهداف كما أوصى جوستاف لوبون! وغير فعلة تغيير أو (تفصيل) الدستور هناك أفعال أخرى.. هذا التغلغل المنتظم للسيد جمال مبارك في الحكم بدء من تعيينه مستشارا اقتصاديا للرئيس الذي هو أبيه.. وظهور ما يسمى لجنة السياسات والبروز الإعلامي لنجل الرئيس والزحف المنتظم للهيمنة على قرارات حزب أبيه الحاكم والتعامل رسميا مع العالم دون أن يكون صاحب منصب رسمي يؤهله لذلك و. و.، إذن عائلة الرئيس تنفي قولا ويبدو أنها تخطط فعلا وذلك طبقا لشواهد (وقعنا في أسر) تحليلها، لكن المحصلة النهائية- رغم ذلك- أن الرئيس وعائلته مازالوا حتى اللحظة.. ينفون !

المثقفون

ويوصفُ القومُ في العلياءِ أنهمُ .... شُمُ الأنوفِ، وفي آنافِهم ذلفُ
ينجمونَ وما يدرونَ لو سئلوا.... عن البعوضةِ أنّ منهمُ تقـــفُ
وفرّقتهم على علاتِها مللٌ.... وعندَ كلِ فريقٍ أنهم ثَقِفـــــــوا
يُخبرُ العقلُ أن القومَ ما كرُموا... ولا أفادوا ولا طابوا ولا عرفـــوا

أبو العلاء المعري

**

شكوك. استنتاجات.. تحليلات.. هذا كل ما تملك النخبة المثقفة الرافضة لما أسمته (مخطط التوريث).. لا تملك إلا الهواجس.. وهواجس الشعوب مفيدة للملوك! جميعنا نسوق الأدلة في تحليل وراء تحليل على أن السيد الرئيس يسعى لتوريث نجله منصبا لا يورث! ثم.. ثم نكتفي بالتحليلات والاعتراض والرفض.. بل والاشتباك مع (معسكر الموالاة) في تحليل وتحليل مضاد! حتى صرنا (نستمرئ) هذا الاشتباك، يذكرني هذا بقصة من كتاب كليلة ودمنة.. كان فأر يريد المرور من بين جمع من الناس.. يُخرج رأسه من الجحر فإذا وجدهم منتبهين يرتد إلى الوراء دون أن يلغي الفكرة.. ثم يعيد الكرّة مرة بعد مرة.. حتى وجدهم في إحدى مناوراته منهمكين في الهذيان والكلام والاشتباك.. الفأر ببساطة شديدة.. نعم بتلك البساطة.. وبينما ذيله يتمايل يمينا ويسارا... مرّ! ** فالرئيس ونجله لا يباليان بهؤلاء! وهؤلاء بدورهم يمارسون رفضا يستغرق الوقت والطاقة.. بدون خطة (أ) في حال صدق التكهنات بوجود ما سموه (مخطط التوريث) أو خطة(ب) في حال نجاحها وفشلهم في وقفها.. وهذه علة النخبة في مصر.. تقف عند الانفعال بخطط الآخر لكنها لا تخطط أبدا.. حتى الآن لا توجد رؤية بديلة تبلورها النخبة المصرية.. لا توجد فلسفة للتغيير ولا يوجد لدينا فلاسفة للتغيير، نخبة مفككة.. جهودها مشتتة رغم إخلاصها لمستقبل الوطن.. لكن ورغم مشاكل النخبة المثقفة في مصر فإنها المرشحة الأكبر لإيقاف ليس فقط مخطط التوريث وإنما أي مخطط يسلب من المصريين مستقبلهم! ولنرى كيف يمكن للمثقفين المصريين الالتئام لتأسيس (جمعية وطنية) لإنقاذ مستقبل مصر.. لنرى ذلك في تجربة (الثورة الفرنسية) وهي الثورة التي اندلعت على يد مثقفي الطبقة الوسطى الفرنسية حينها..

خطة (أ) من تجليات الثورة الفرنسية

**

في نشرة بعنوان: "ما هي طبقة العوام؟" صدرت في يناير من عام 1798 (أي قبل اندلاع الغضب الفرنسي بأقل من سبعة أشهر) طرح المثقف الفرنسي جوزيف سييز ثلاثة أسئلة وأجاب عنها: "ما هي طبقة العوام؟ إنها كل شيء.. ما حالها حتى الآن؟ لا شيء.. ماذا تريد هذه الطبقة أن تكون؟ تريد أن تكون شيئا ما."، الثورة الفرنسية كانت ثورة مثقفي الطبقة الوسطى التي ضاقت ذرعا باحتقار وتجاهل النبلاء لها، كانت خطب ميرابو وروبيسبير وجان بول مارا تلهب مشاعر الشعب الفرنسي، وتحركه وتنظم غضبه الموجود أصلا، وتحول الفوضى العارمة التي صحبت بدايات الثورة إلى فعل إيجابي يضع أحلام الثوار موضع تنفيذ، فاستطاعت هذه الجماهير أن تسقط الباستيل المرعب، بل واستطاعت أن تفعل المستحيل.. حينما انتظمت تحت المطر والبرد وبدون اجر، لتسوي مساحة من الأرض تبلغ ثلاثمائة مليون قدم مربع وتبني فيها الشرفات والمنصات في خمسة عشر يوما فقط، من اجل الاحتفال فيها بدستور جديد يعلن لأول مرة في التاريخ المساواة بين المواطنين أمام القانون، الشعوب إذن لا تخرج صباح ذات يوم من تلقاء نفسها، لتصرخ رافضة الظلم، هناك من يهيئ المناخ للغضب، وهم المفكرون والمبدعون الذين يشقون طريق الغضب في صدور المقهورين، وإذا قال أحدهم إن الاحتجاجات التي توالت في مصر في العام الماضي لم يقدها مثقفون وإنما عمال وموظفون نقول إن هذا صحيح ولكن.. لم تنشأ تلك الاحتجاجات فجأة ومن تلقاء نفسها.. بل تشجع هؤلاء بتأثير مبادرة قلة من المثقفين عام 2004 بالخروج إلى الشارع في جو سياسي كان تقريبا ميتا.. فألقوا حجرا في مياه راكدة، الجماهير الفرنسية التي أسقطت الباستيل وساقت الملكة المتغطرسة إلى المذبح كانت قد جهزت تماما بفعل سحر إبداع وجرأة وتحريض المفكرين والمبدعين الفرنسيين على اختلاف طروحاتهم، مثل روسو ومونتسكيو

وغيرهم كثيرون، سواء كان طرحهم قد مثل صدمة علمانية ضد تخلف وغطرسة وظلم الكنيسة ورجالها، أو صدمة فنية في مسرحيات تصرخ بطلب العدل، فقد دعيت سيدة مثقفة اسمها مانون رولاند لزيارة سيدة من طبقة النبلاء قبيل الثورة الفرنسية، وكانت رولاند سيدة رقيقة كيسة مثقفة كما تصفها كتب التاريخ، وعندما طلب منها أن تأكل مع الخدم وألا تجلس إلى المائدة مع الضيوف النبلاء صرخت صرخة مروعة احتجاجا ورفضا، التقط المبدعون صرختها في إبداعاتهم المسرحية.. فأوصلوها للشعب الفرنسي بأكمله.

**

كان آرثر يونج- الذي عاصر الثورة الفرنسية وكتب عنها- يقوم برحلة في مقاطعات فرنسا في العام الذي اندلعت فيه الثورة الفرنسية عام 1789، وقابل الرجل فلاحة فرنسية كانت تشكو من الضرائب والمستحقات الإقطاعية التي تجعلها على حافة الإملاق، وذكرت أن باقي الفلاحين مثلها، لكنها أضافت قائلة:" أعلم أنه لابد أن يقوم عدد كبير من الناس بعمل شيء... أي شيء... من أجل هؤلاء البؤساء، فالضرائب والرسوم تسحقنا".

وفي مصر هناك بالفعل من ينبغي أن يفعل شيئا وهو تلك الشريحة من الطبقة الوسطى في مصر التي كان يتم على يدها التغيير في كل مرة تغير فيها وجه مصر، منذ أسس محمد علي الدولة الحديثة، الذي ينبغي أن يفعل شيئا هو هؤلاء المثقفون- القادرون- على (تكوين جبهة) تطلق الشرارة الأولى، وبعدها سوف يدعمهم هؤلاء البائسون الذين ينتظرون فقط أن يضيء أحدهم الطريق، هذا لا يعني أن الحل للمأساة المصرية هو انتظار (المسيح المخلص)، فالحقيقة أن ثورة عظيمة مثل الثورة الفرنسية لم يكن لها قائد بعينه! وإنما هيأ لها مناخ فكري جريء ساهم في تكوينه عشرات المفكرين الذين طرحوا أفكارا ترفض التخلف الديني والسياسي والاجتماعي، ثم قادها مجموعة من المثقفين الثائرين الرافضين للقهر الذين ألهبوا

الجماهير الجاهزة للانفجار، ** ففي بداية الثورة عام 1789 تكونت (الجمعية الوطنية) التي قادت فرنسا حتى أصبحت فرنسا التي نعرفها الآن، لم يكن فردا محددا.. لم يكن مفكرا بعينه.. لم يكن ثائرا بالذات.. مسئولا عن تلك الثورة! إنما مجموعة من المثقفين كونت (الجمعية الوطنية)، والتي اعترض الملك لويس السادس عشر في أيام ضعفه الأخيرة على اعتبارها ممثلة للأمة الفرنسية، بحجة إن ذلك غير قانوني! ولكن (الأمر) كان قد بدأ، والمعايير التي كانت تحدد ما هو قانوني وما هو غير قانوني لم تعد ذات أثر أو قيمة في المرحلة الجديدة، هذه (الجمعية الوطنية) حلت نفسها بمجرد صدور أول دستور يقر ببدايات حقوق الإنسان التي تتحدث عنها الآن كل الأمم،

**

يحتاج المصريون إذن إلى تكوين مثقفيهم الكبار لشيء أشبه بالجمعية الوطنية التي أنشأها المثقفون الفرنسيون قبل أكثر من 300 سنة، (جمعية وطنية) لا تصطبغ بلون تيار بعينه وإنما تعلن (موقفا) من تكهنات تفترس طاقة هذا الشعب، جمعية وطنية تخطط لوضع (دستور بديل) وحتى لو رفضها النظام الحاكم كما رفض أختها الفرنسية الملك لويس السادس عشر... فإن الأمر حينئذ سيكون قد بدأ...
بشيء من قبيل (النسخة المصرية) من الجمعية الوطنية الفرنسية مع مراعاة فارق ثلاثة قرون، يمكن للمصريين أن يفشلوا أي مخطط يسلب منهم المستقبل، ويمكن لهم أن يصوغوا دستورا جديدا يكون بمثابة خطة واضحة للشعب، وحين تتكون تلك (الجمعية الوطنية) سوف تبرز البدائل.. وحينئذ لن يقول أحدهم بكل تلك الثقة والأريحية.. ألا بديل هناك للسيد جمال مبارك..

العالم والتوريث

من المدهش حقا أن توريث السلطة في نظام جمهوري ليس (بدعة مصرية)! فدوليا ها هو حيدر علييف في أقصى شرق آسيا وضع ابنه إلهامي علييف في منصب رئاسة

جمهورية أذربيجان! وفي أفريقيا ورث جوزيف كابيلا مركز أبيه لوران كابيلا في قيادة حركة تمرد ثورية في الكونجو الديموقراطية! وفي العالم العربي ورث الفتى سوريا عن بكرة أبيها! والآن يتصاعد اسم ابن على عبد الله صالح في اليمن واسم ابن القذافي بل واسم ابنته أيضا! وبنفس تلك الوتيرة التي تصاعد بها اسم جمال مبارك في مصر حتى طغى! دوليا إذن حدث أن تحركت غريزة السطو والاقتناص داخل نفوس الرؤساء الذين يرأسون جمهوريات مشوهة، (فلم تثر مثل هكذا قضية في بريطانيا مثلا أو فرنسا، فتلك شعوب بذلت أنهارا من الدماء حتى تمكنت في نهاية المطاف أن تمسك العصا للحاكم وليس العكس!) شعوب تلك الجمهوريات المشوهة لم تتشبع سياسيا واجتماعيا وثقافيا بروح الديمقراطية الحقيقية، فهي لم تتعب حتى تحصل عليها ولم تضحِ من أجل نيلها، لذلك يسهل على الرئيس القناص أن يستكثرها عليهم ويسهل عليه أن يستسلم لغريزته فيحاول اختطافها لابنه، وقد يتصادف أن تساعده مصالح دولية تلتقي مع رغبته المحمومة في الاحتفاظ (بالأمر) لعائلته، فيلقى المساعدة وغض الطرف الدولي عن فعلته مقابل تسهيلات يقدمها لتلك الأطراف الدولية، حتى لو كانت– بداهة– على حساب شعبه! ساعد على نمو تلك الرغبة الخبيثة عند هؤلاء الرؤساء دوليا أن ظروف جمهوريات نهاية القرن العشرين اختلفت عن تلك التي أحاطت بجمهوريات الخمسينات والستينات من ذلك القرن الذي ولى، فقد كان عصر الجمهوريات في أواسط القرن الماضي عصرا ثوريا تحرريا، وبالتالي كان مشينا حقا أن يسطو رئيس على الولاية لصالح عائلته، كما أنه كان عصرا ليس به كل تلك الرفاهية المتاحة للرؤساء الآن، حتى ولو كانوا رؤساء لأفقر الدول فالرفاهية المتاحة الآن تسيل لعابهم حتى ولو كان كفيلا بإغراق شعب بأكمله! في ذلك المناخ الدولي كبر نجلا الرئيس مبارك في مصر! ورأى البعض أن الرئيس مبارك بّيت النية بعد إدراكه المبكر للظاهرة الدولية في غفلة من المصريين فلم يعين نائبا له ولن يفعلها الآن بالطبع! وعندما أصبح الأمر مسألة عائلية كان

إعداد الابن للحدث الجلل جارٍ على مر تلك السنين دون أن يدري المصريون، هكذا يقول محللون! وعندما حان الوقت لبدء الإعلان التدريجي ظلت بالونات الاختبار تنطلق الواحدة بعد الأخرى عاما وراء عام، حتى خرج المصريون من (حالة الذهول الأولية) التي تحدث عادة تحت تأثير طبيعة الخبر الطازج ذاته كاذبا أو صادقا، فبدأ الأمر يظهر علنا بالتدريج، وبدأ المراقبون الدوليون بالطبع يتحدثون في الأمر، وإذا فتحت مواقع جرائد كبرى ذات وزن مثل النيويورك تايمز أو الواشنطن بوست أو الجارديان أو.. أو.. ستجد أنه لا تمر بضعة أشهر إلا وهناك دراسة أو مقال أو تصريح لشخصية دولية يختص بمستقبل (خلافة مبارك) وجمال مبارك، وهناك تحليلات أيضا لرؤية الولايات المتحدة للأمر، ويتبدى ذلك في تحمس القوة الأعظم المنافق لنشر الديمقراطية في العالم العربي وفي مصر بالذات.. ثم تراجعها فورا بعد أن خافت أو خوفت من (البديل الإسلامي) – الفزاعة التي يمسك بها نظام الحكم في مصر لتخويف العالم من أحلامه الساذجة حول دمقرطة المصريين! إذن دوليا لا يمكن التعويل على قوة سواء كانت عظمى أو صغرى لوقف ما يشك المصريون أنه (مخطط للتوريث).. هذا أمر لن تحله إلا) مبادرة) داخلية تتخذ موقفا أو تضع خطة للتصدي ولا تكتفي فقط بالاعتراض، وإلا فعلى المثقفين المصريين إذا تعاظم يأسهم أن (يبقوا في بيوتهم) كما قال الكاتب والأديب بهاء طاهر شاكيا من وحشية الأمن وفقدان الطريق ..

الشعب والتوريث

**

لكن البائعين المتجولين في شوارع المدن المصرية والعمال المنهكين والفلاحين المعذبين والفقراء المطحونين، والموظفين البائسين وصغار التجار والعاطلين عن العمل، إلى سائر مختلف فئات الشعب يتعرضون لعملية سحق متواصل يمارسها رجال النظام وأعوانه ممن يسمون برجال الأعمال والسماسرة والمنتفعين والوزراء

المرتشين وغيرهم من الفاسدين المتألقين في تربة تعهدها النظام الحاكم بالرعاية منذ سنين، هؤلاء المنهكون المقهورون كلهم، كيف ننتظر منهم أن يقودوا غضبا منظما من أجل الديمقراطية أو من أجل إيقاف ما يسميه المثقفون (مخطط التوريث)؟!، هؤلاء لا يبقى منهم في نهاية كل نهار إلا حطام إنسان!، هؤلاء مثلهم مثل الفلاحة الفرنسية التي وصلت إلى حد الإملاق من سحق النبلاء والإقطاعيين لأمثالها، لكنها كانت تعرف- كما يعرف المصريون المسحوقون الآن – أن: "عددا من الناس ينبغي أن يفعل شيئا" !

**

لكن ورغم ذلك فإن مخطط التوريث لم يغب عن (التداول الشعبي) بالروح المصرية المألوفة، روح السخرية واللامبالاة المتوارثة عبر آلاف السنين، يظهر ذلك في عشرات النكات التي يبدعها هذا الشعب فقط كي يقول (أنا فاهم. بس ساكت بمزاجي)! ولا بأس من توثيق بعض تلك النكات.. واحدة منها انتشرت منذ فترة تقول بأن الرئيس مبارك استشار المفتي كي يشرع له توريث ابنه الحكم فأجابه المفتي بأن ذلك لا يجوز طبقا للشريعة.. فغضب الرئيس وذكره بأنه كان دائما يفتي له بما يريد فكانت إجابة المفتي:" يا ريس النص في دي واضح.. في القرآن لا ينكح الابن من نكحهم أبوه"! وحين خرج السيد جمال مبارك على الشعب المصري متحمسا لمسألة (إنشاء مفاعل نووي لإنتاج الطاقة الكهربية) تداول الناس على المقاهي تفسيراتهم الخاصة لهذا الحماس، وهذه حادثة حقيقية حكاها لي أحد الأصدقاء وهو يضحك بملء فيه.. أحد المواطنين يعمل بقالا ولا يعرف القراءة والكتابة سمع في المقهى أناسا يتحدثون عن (النووي)! قال لهم بأسلوبه الشعبي البسيط:(هو يعني المنوي ده بيعمل إيه بالظبط وماله ومال السياسة؟!) فرد عليه أحدهم وهو يسحب دخان شيشته:(بيطلع منه كهربا.. قالوا كده في التليفزيون.. واحنا يعني محتاجين يعني كهربا كتير عشان المصانع وخلافه).. قال الأول:(ومين بقي شريك المحروس جمال في مشروع المنوي

ده؟) فحاول أحدهم أن يصلح له:(منوي يا راجل يا طيب؟! منوي؟ اسمه نووي.. نووي.. زي اللي عند أحمد زويل والناس دي)، فقال له (يعني هو ده بقي اللي حيجيبه المحروس لما ياخدها).. ياخدها هذه كلمة عائدة على مصر! ومؤخرا تناقلت هواتف المحمول رسالة لخص فيها مؤلفها حاضر مصر ومستقبلها تقول (لست أدري كيف يمكن لإنسان أن يتشاءم في بلد رئيسها (مبارك) ورئيس حكومتها (نظيف) ورئيس برلمانها (سرور) ورئيس مجلس شورتها (شريف) ووزير داخليتها (حبيب) ووزير ماليتها (غالي) ومستقبلها كله (جمال).. شعب مفتري صحيح)! وعندما تداولت الصحف والفضائيات مقولات عن (الصراع وحرب تكسير العظام بين جمال مبارك والحرس القديم) علق أحدهم بقوله (العبرة في الصلابة)! ومنذ أشهر قليلة حين انتشرت في القاهرة إشاعة بأن (الرئيس توفي) وظلت الإشاعة تتداول بقوة حتى المساء.. كان رد القصر أن حضر الرئيس مباراة لفريق الأهلي في الثامنة مساء مصطحبا معه حفيده! يومها انتشرت وأيضا عبر هواتف المحمول رسالة بعد ظهور الرّيس في المباراة تقول (الراجل ظهر في الماتش حيا يرزق.. الظاهر عزرائيل باع القضية)! أحد المواطنين عندما رأى ذات مرة صور السيد جمال مبارك على شاشة التليفزيون انطلق بعفوية وراح يغني: (كل ما أشوفك أبقى نفسي آ. آ) !

الشعب إذن (ساكت.. لكن مش بمزاجه)! وإنما لأن المثقفين اكتفوا بالرفض (الكلامي) أو قبعوا في بيوتهم كما أشار الأديب بهاء طاهر، لم يقوموا (بفعل محدد) لتذكير العائلة الحاكمة بأنه من الصعب مهما كانت درجة الانفراد والجبروت أن تتجاهل ثمانين مليونا من البشر!

**

أما إعلاميا فيمكن القول أن (ما بعد الرئيس مبارك) هو هاجس إعلامي سواء في الإعلام المقروء أو المرئي، وكلا الطرفين يستغله... النظام ومواليه من جهة والمثقفون الرافضون من جهة أخرى... وأحيانا يدخل المواطنون على الخط، الفضائيات تدرجت

في تناولها لمسألة التوريث بدرجات متفاوتة من الحذر والتحفظ... البرامج الشهيرة مثل برنامج العاشرة مساء وبرنامج القاهرة اليوم وبرنامج تسعون دقيقة ضمن القنوات الخاصة المصرية أو قنوات الحرة والجزيرة وغيرها...

الجميع تحاول (مس المسألة) تحذير ...

صار (الانتظار) سمة لسلوك الطرفين.. وأصبح (تصيد) التصريحات وتفسير الصور الورقة الوحيدة في يد الطرف الرافض- الأضعف- في مواجهة الطرف المستقوي بمفاتيح السلطة.. صور جمال مبارك وتغطية جولاته في مصر والعالم تلح في وسائل الإعلام المصري الحكومي لكن بوصفه (أمين لجنة السياسات) في الحزب الحاكم! لا يشار إلى كونه ابن الرئيس.. هل يعتبرون ذلك- مثلا يعني- ذكاءً أو ما شابه؟! بينما تعرض صور السيد جمال مبارك وهو يوزع أشياء على مواطنين غلابه وكأنه فاعل خير.. لذا يستحق الرئاسة! وفي موازاة الإعلام المصري حكوميا كان أو خاصا.. تحاول وسائل الإعلام العالمية الأخرى عربية وأجنبية مجاراة اللعبة.. بتوجيه السؤال إلى شخصيات من الطرفين- المرحب والرافض- لتوريث الرئاسة، بحثا عن (حسم) لا يوجد- وإن لدوافع مختلفة- عند أي منهما !

الخطة(ب)

إذا تولى جمال مبارك الرئاسة لن يقف الزمن عندئذٍ .. أليس كذلك؟! إذا فشلت الخطة (أ) لتكوين جمعية وطنية ترفض التوريث وتضع دستورا بديلا بمثابة خطة لتحرك الشعب.. فما علينا سوى البدء حينها في اتجاه آخر.. اتجاه (صناعة رئيس)! أو إعداد رئيس.. ربما علينا منذ الآن فتح الباب للتفكير الإبداعي في هذا المجال.. ربما على (الجمعية الوطنية) المأمولة أن تعلن عن (انتخابات موازية) لإعداد رئيس يلتزم بمطالبها.. والبحث عن سبل دعمها إعلاميا حتى تصبح واقعا يتحدث عنه الناس ثم يتحمسون له.. فيكون هناك بالفعل.. بديل! وتخرج النخبة المصرية من (فخ) أجندة مفروضة عليها فتفرض هي أجندتها، لا ينبغي أن يتوقف الحلم بإنقاذ مصر.. الحلم

آخر ما يموت، سواء نجحت الجمعية الوطنية في إيقاف مخطط التوريث أو نجحت في صناعة رئيس وإجراء انتخابات موازية.. فإن المهم هو.. ألا نسكت.. ألا نكتفي بالتوقف عند إعلان الرفض كلاميا.. فهذا ما عرفه النظام الحاكم لذلك يتركنا من خلال (سياسة حرية التنفيس) نرفض كل يوم أن يرثنا أحدهم! فماذا يضيره أن نرفض ونحن قعود؟!

أما بعد، فلا بأس بأبيات للشاعر المبهر أحمد مطر:

إني المشنوق أعلاه .. على حبل القوافي خنت خــوفي وارتجــافي
وارتكبت الصدق كي أكتب شعــرا واقترفت الشعر كي اكتب فجرا
وتمردت على أنظمةٍ خرفي. وحكامٍ خرافِ وعلى ذلك..وقعت اعتـرافي!

2. قضية التوريث، هي الملف الرئيس في زيارة مبارك لواشنطن[2]

قضية التوريث في مصر واحدة من أهم قضايا المنطقة نظرا للدور الذي تلعبه مصر في المنطقة العربية وأهميته للسياسية الأمريكية في العالم العربي.

ما زلت أذكر حسين الشافعي أحد الضباط الأحرار لقاءاته مع قناة الجزيرة منذ عدة سنوات عندما تحدث عن الطريقة التي تم بها اختيار الرئيس الراحل أنور السادات، أما بعد اغتيال السادات، فيذكر السفير حسين شريف في كتابه عن المفهوم

[2] http://www.ouregypt.us/aricalfirstpage/mtarshobeeeeeeeeeeeeeei4.html

السياسي والاجتماعي لليهود عبر التاريخ (أن حسنى مبارك كان اختيار السادات) وفي الجزء الرابع من كتابه - الشرق الأوسط في ظل النظام الدولي الجديد 1981- 1995 ينقل عن بوب وورد من كتابه النقاب (ان الرئيس ريجان لم يكن يحب القراءة و كان يحب الافلام وكان من الافلام التي عرضت له فيلم عن الرئيس الجديد لمصر مبارك و ظهر فيه مسقط راس الرئيس كفر مصيلحة) اما بالنسبة للو ضع الحالي في اختيار من يحكم مصر لم يكن في الحسبان ان يكون جمال مبارك هو الرئيس المنتظر لحكم مصر الا بعد ان ظهرت الموضة الجديدة في الدول العربية و الذي بدأت مع اعداد حافظ الاسد لابنه باسل لحكم سوريا من بعده و تشاء الاقدار ان يموت باسل في حياة ابيه و ينتقل الارث الى طبيب العيون بشار الاسد ليدخل الى الحكم من بوابة حكم العسكر وبعد موت الاسد يتغير الدستور لكى يتوافق مع عمر الابن، وتنجح اللعبة و يصبح بشار رئيساً لسوريا مما اسال لعاب الاخريين و تأكدوا ان اللعبة قابلة للنجاح و بدانا نسمع عن توريث للحكم في مصر و اليمن و ليبيا.

وأتذكر الآن احدى الحوارات التي دارت داخل سجن الاستقبال بطره في 2002 بيني وبين مجموعة من المهتمين بالسياسية عن موضوع التوريث وكان هناك اختلاف هل التوريث حقيقي ولا مجرد وهم. وكان راي ان مبارك هو الذي طرح اسم جمال على الادارة الامريكية ولم يكن في حسبان امريكا هذ الامر تماماً هذا اولاً الثاني هو كيفية دخول جمال الى معترك الحياة السياسية المصرية ولم يوجد غير طريق الحزب الوطني ولجنة السياسات وذلك لاختلاف وضع مصر عن وضع سوريا في امكانية دخوله عبر الجيش. اما الخلاف دار حول هل توافق امريكا على ان يحكم مصر مدني وليس عسكري كما هو المعتاد. ظل هذا هو السؤال المطروح عند كل السياسيين المدركين لحقيقة الوضع المصري واهميته بالنسبة للأمريكان. وكما يقول بول كيندي في كتابه (الدول المحورية) - ان مصر موضوعة ضمن اهم تسع دول محورية بالنسبة لأمريكا على مستوى العالم ..

وظللنا داخل السجون نتابع موافقة الامريكان على تولى جمال مبارك الحكم في مصر؟ وخرجنا من السجون ومازال السؤال مطروح. ولكن الايام الاخيرة بدأت تأتى بالإجابة، ولكن على استحياء. ورغم ما جاء في الجارديان البريطانية عن ان عمر سليمان هو الرئيس القادم لمصر وذلك لأنه أكبر شخصيه عسكرية موجودة داخل النظام في مصر وإن جمال مبارك غير مؤهل لحكم مصر لأنه ليس عسكريا وهذا ما رجحه ايضاً الدكتور ضياء راشون من احتمال ان هناك شخصية عسكرية تصنعها امريكا في الكواليس لحكم مصر في حالة خلو المنصب فجاءة. هذا الكلام وإن كان أقرب للصحة من الناحية التاريخية والعملية مع امريكا الان هذا الأمر يقف له مبارك بالمرصاد، ولولا أهمية عمر سليمان للنظام في مصرو للأمريكان من حيث مسئوليته عن الملف الفلسطيني لكان قرار المعاش قد صدر منذ فترة وأنى أري أن مبارك ينتظر من عمر سليمان دعم موقف جمال عندما يتولى الحكم سواء داخل مصر أو خارجها.

إن زيارة جمال مبارك السرية في 2007 والتي لم يكشف عنها إلا صدفة من خلال مراسل bbc الذى شاهد جمال مبارك يدخل الى البيت الابيض و اضطر القصر الجمهوري الى الاعلان عنها و انه ذهب للقاء عدد من مسئولي الادارة الامريكية و لم يقابل بوش إلا مصادفة في ممرات البيت الابيض و الوضح من خلال هذه الزيارة أن الادارة الأمريكية في عهد بوش لم تكن موافقة تماما على تولى جمال الحكم بعد أبيه و هذه كانت أحد أسباب الفتور في العلاقات بين مبارك و بوش و لذلك لم يعد يزور مبارك واشنطن كل عام كما كان يفعل سابقاُ، ثم تعددت زيارات جمال مبارك لأمريكا و أصبح المسئول الأول عن ملف العلاقات الامريكية المصرية. و كانت الزيارة الاخيرة هامة جدا نظرا انها جاءت بعد تولى أوباما الحكم و إمكانية فتح ملف التوريث من جديد و التمهيد لزيارة مبارك الاب و لمحاولة ايجاد صيغة متفق عليها مع الامريكان بخصوصه، و لذلك التقى جمال مبارك بشخصيات في الخارجية ومجلسي النواب والشيوخ وغيرهم، بصفته الأمين العام المساعد لشؤون السياسات بالحزب

الحاكم، بغرض "التواصل المستمر للحزب الوطني مع الأحزاب ودوائر الفكر والرأي في الخارج" وأضافت مصادر الحزب الحاكم في وقتها إن السيد جمال مبارك عرض خلال جولته الأميركية ، رؤية الحزب وسياساته تجاه قضايا المنطقة وتحديات الأزمة الاقتصادية العالمية، و"استشراف مستقبل العلاقة المصرية - الأميركية في ظل إدارة أميركية جديدة". واستمع جمال مبارك إلى رؤية الدوائر الأميركية المختلفة لهذه القضايا، وتصورها للتطورات في السياسة الأميركية، خاصةً فيما يتعلق بمنطقة الشرق الأوسط. هذه كانت الحملة الإعلامية للسيد جمال مبارك لتعريف المجتمع الأمريكي بنفسه و لذلك بدأ الاعلام الأمريكي في تسليط الضوء على شخصية جمال مبارك و ظهرت عشرات المقالات والتحقيقات الصحفية في أمريكا عن جمال مبارك وصعوده المتزايد والمتوالي في المشهد السياسي المصري و انه من المنتظران يتولى الحكم بعد ابيه، و شخصيته و فكره و اهتماماته و كان من الواضح ان جمال مبارك لم يتكلم الا عن الشأن الداخلي والمطالبة بدور إيجابي من الادارة الامريكية تجاه قضايا المنطقة و ذلك حتى لا يدخل في متاهات القضية الفلسطينية و تحدث له مشكلات مع اللوبي اليهودي داخل امريكا ثم ظهرت دارسة "بيسون براونلي"، الأستاذ المساعد في العلوم السياسية في جامعة تكساس الأمريكية عن التوريث ، و تؤكد دراسة "براونلي" أن سيناريو توريث السلطة في مصر لجمال مبارك قادم قادم ولو لم يكن هذا هو المؤكد لكان مبارك قد فكر منذ فترة طويلة في تأهيل أي من القيادات حوله لنقل السلطة إليه.

أما لماذا ملف التوريث واستبعاد غيره؟ لو تأملنا جميع الملفات الأخرى لوجدنا الملف الفلسطيني: يقوم السيد عمر سليمان تقريباً في فترات متقاربة بالسفر الى واشنطن لاطلاع الادارة الامريكية على كل جديد داخل هذا الملف ويكاد لا يكون هناك تصرف يحدث إلا ويعقبه زيارة مباشرة للولايات المتحدة وذلك لشرح التفاصيل باعتبارها الدولة الرعاية للسلام! فلا يوجد داعي لكي يكون هذا هو الملف

الرئيس على قائمة الزيارة الا ان يكون ما يدور داخل الكواليس الآن على ان هناك خطة جديدة للقضية الفلسطينية ستكون بديلاً عن كل الخطط والمبادرات السابقة، وهذا يحتاج إلى مقال آخر إن شاء.

أما الملف اللبناني فقد خرج من محور الاهتمام المشترك بين مصر وأمريكا بعد فشل مصر في معالجة الأزمة اللبنانية بخصوص الاستحقاق الرئاسي، ونجحت الدوحة فيه فلم يعد هناك داعي للكلام فيه، وينطبق هذا الكلام على الملف السوري وذلك بعد دخول تركيا على خط المفاوضات بين سوريا واسرائيل، ولم يعد هناك وجود لدور مصري، والملف السوادني لا يختلف كثيرا فلم يستطيع مبارك ان يفعل فيه شيئاً الا موافقته على زيارة البشير للقاهرة بعد قرار اعتقاله ليظهر للعرب وكأنه رافض لقرار الاعتقال. ولم يبقى الا الملف الإيراني المقلق بالنسبة لمصر والدور الكبير الذي تمارسه إيران داخل العالم العربي وهو غير مقلق بالنسبة لأمريكا لأنه يدور داخل السياسية الامريكية للمنطقة، وذلك من خلال ابراز إيران كعدو للعرب بعد زوال صدام حسين. اما مستقبل العلاقات الامريكية المصرية والوضع في الشرق الاوسط وما شابه ذلك من العناوين السخيفة التي تستخدمها الصحف القومية المصرية للتعليق على الزيارة، فهو من قبيل خداع الشعب المصري على ان هناك علاقة ندية بين مصر وأمريكا.

(فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد)

3. الغزالي حرب: أسامة الباز شجع جمال مبارك على "التوريث"[3]

قال الدكتور أسامة الغزالي حرب، رئيس حزب الجبهة الديمقراطية السابق، إنه استقال من المجلس الأعلى للسياسات في الحزب الوطني المنحل، اعتراضًا على خطة توريث الحكم لنجل الرئيس الأسبق حسني مبارك.

وأضاف من خلال برنامج "بدون رتوش"، والذي يذاع عبر إذاعة "نجوم إف إم"، قائلًا: "كنت مقربًا لجمال مبارك، وأعامله كأخ أصغر، وكنا نعمل على توثيق ثورة يوليو من خلال لجنة كنت بها، ومعي زكريا عزمي وأحد قيادات القوات المسلحة، وأسامة الباز وغيرهم، وخلال تلك الفترة تقربت لجمال مبارك، وهو شخص مهذب

---

3 http://www.dotmsr.com/details/%D8%A7%D9%84%D8%BA%D8%B2%D8%A7%D9%84%D9%8A-%D8%AD%D8%B1%D8%A8-%D8%A3%D8%B3%D8%A7%D9%85%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%A7%D8%B2-%D8%B4%D8%AC%D8%B9-%D8%AC%D9%85%D8%A7%D9%84-%D9%85%D8%A8%D8%A7%D8%B1%D9%83-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%88%D8%B1%D9%8A%D8%AB

وهادئ، وأسامة الباز هو من شجع جمال مبارك على مشروع التوريث، وكلفني بصورة غير مباشرة بتدريب جمال على السياسة". وتابع: "كنت أشاهد أفلاما وثائقية عن ثورة يوليو مع جمال مبارك، وكان يسأل عن كل التفاصيل، وعندما شعرت أن المسألة ستنتقل من تعليم جمال السياسة إلى محاولات توريثه الحكم استقلت من الحزب الوطني المنحل، وأنشئت حزب الجبهة الديمقراطية وكان حجر عثرة أمام الحزب الوطني، ورفض المشاركة في انتخابات 2010، و80% من شباب الحزب كان من ثوار يناير".

4. السلطة والنفوذ تحكمان الانتخابات المصرية بمبدأ التوريث[4]

العرب [نُشر في 19/10/2015، العدد: 10071] عماد أنور

لطالما اعتبر الفوز بمقعد في البرلمان بمثابة ضمانة بالنسبة للأثرياء وأبناء العائلات العريقة سياسيا في مصر للحفاظ على سلطة آبائهم ومكاسب عائلاتهم ونفوذها. سُنّة انتخابية عرفها المصريون جيدا وباتت أهدافها الخفية جلية أمام نظرهم قبل أهدافها المُعلنة، لكن على الرغم من ذلك مازالوا لم يجدوا لها حلا ناجعا يحول دون تأثيراتها السلبية وتداعياتها السيئة على العملية الانتخابية برمتها، خاصة أنها مازالت تسجل حضورها في جل المحطات وآخرها الانتخابات البرلمانية التي بدأ إجراؤها أمس الأحد.

الانتخابات البرلمانية خطوة أخيرة في مسار انتقالي شابه الكثير من الصعوبات

ما فتئت ظاهرة توريث الوظائف، سواء الإدارية أو السياسية أو غيرهما، تعتبر أمرا طبيعيا في مصر لكثرة تواترها؛ فنجل الطبيب هو الأقرب ليصبح طبيبا، وأبناء

[4] file:///C:/Users/D.Ali/Desktop/%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%84%D8%B7%D8%A9%20%D9%88%D8%A7%D9%84%D9%86%D9%81%D9%88%D8%B0%20%D9%8A%D8%AD%D9%83%D9%85%D8%A7%D9%86%20%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%86%D8%AA%D8%AE%D8%A7%D8%A8%D8%A7%D8%AA%20%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B5%D8%B1%D9%8A%D8%A9%20%D8%A8%D9%85%D8%A8%D8%AF%D8%A3%20%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%88%D8%B1%D9%8A%D8%AB.html

المهندسين والقضاة وأستاذة الجامعات وغيرهم، يسلكون في الغالب ذات الطرق التي سلكها آباؤهم بدافع ضمان الوظيفة في مجتمع تتفشى فيه البطالة. وقياسا على تلك العادة، التي تجد لها مطابقات في أوجه عديدة من حياة المصريين، ووفق شهوة دائمة للسلطة، يمكن فهم الأسباب التي تقف وراء اعتياد بعض العائلات المصرية على توريث مقاعد البرلمان لأبنائها وذويها.

وغالبا ما اعتبرت السلطة والنفوذ والوجاهة، الثالوث الذي تدور في فلكه رغبة الفوز بمقعد تحت قبة البرلمان، وهي رغبة تحتاج إلى تربيطات ومعارك تؤدي إلى الدخول في أجواء المؤامرات السياسية والتربيطات الاجتماعية. وقد كشف برلماني سابق، خير عدم ذكر اسمه، لـ " العرب" عن جلسات خفية كانت تعقد بين كبار المسؤولين وأصحاب النفوذ خلال فترة حكم حسني مبارك، مع عائلات مصرية كبيرة، للحصول على مقعد في البرلمان، مقابل مبالغ مالية باهظة، وفي حالة وفاة النائب، تبدأ بعدها بساعات عملية الاتفاق على توريث نجله. وأوضح المصدر أن الحزب الوطني الحاكم أيام مبارك، كان يضم صلب قائماته من ينتمون إلى عائلات كبيرة في محافظات مختلفة، لضمان عدد مريح من المقاعد، في المقابل تستفيد العائلة بحصول أحد أبنائها على لقب "النائب"، ما يعتبرونه سببا في فتح الأبواب المغلقة، وتعزيز الوجاهة الاجتماعية.

صراع العائلات

كشفت الدعاية الانتخابية التي جرت على مدى الأيام الماضية، قُبيل التّوجه أمس الأحد إلى صناديق الاقتراع، عن حدة الصراع بين أبناء النواب السابقين ومنافسيهم، للحفاظ على مقاعد آبائهم. وتزداد هذه المعارك شدة وشراسة من محافظة إلى أخرى.

عائلات تعيش خارج العملية السياسية نادرا فلا يعنيها غير الحفاظ على استمرار مكانتها ونفوذها

وقد جعل التاريخ المتوارث في العمل البرلماني من قبل العائلات، محافظة الشرقية بدلتا مصر، على سبيل المثال، الأكثر توريثًا، وقد دفعت عائلة أباظة، بيسرا أباظة، نجلة البرلماني السابق فؤاد أباظة، لخوض المعركة الانتخابية عن دائرة أبو حماد، وكانت العائلة تسيطر على عدد من مقاعد البرلمان في الدوائر المختلفة بالشرقية، وهي واحدة من أعرق العائلات في مصر، ولها تاريخ سياسي وبرلماني كبير، وسبق أن خرج منها محمود أباظة رئيس حزب الوفد السابق.

ويجري الصراع الانتخابي في هذه الآونة بين أبناء النواب السابقين على أشده في الشرقية أيضا، حيث يخوض وجيه أباظة نجل حسين أباظة نائب مجلس الشورى السابق، المعركة الانتخابية بدائرة منيا القمح، وينافس خالد مشهور، نجل النائب الأسبق عن الحزب الوطني عبد الرحمن مشهور. أما في دائرة ههيا، فيصر عصام أبو المجد، نجل النائب السابق عن الحزب الوطني أبو المجد نصار على وراثة مقعد والده.

وفي القليوبية، شمال القاهرة، تحتكر عائلة الفيومي مقاعد البرلمان منذ زمن، ويعد محمد عطية الفيومي نجل عطية الفيومي أشهر رموز الحزب الوطني المنحل، حامل لواء العائلة في الانتخابات البرلمانية الحالية.

أما في محافظة المنوفية بدلتا مصر فتعد عائلة الشاذلي، حاضرا أساسيا في العملية الانتخابية، ويخوض معتز الشاذلي نجل البرلماني الراحل كمال الشاذلي، الانتخابات في دائرة الباجور بالمنوفية، خلفًا لوالده زعيم الأغلبية بمجلس الشعب، والنائب عن الدائرة نفسها لنحو 46 عاما متتالية.

ونظرا إلى رغبة البعض إلى إحياء سيرة الآباء وأحيانا الأشقاء، فقد تقدموا بأوراق الترشح للبرلمان، حفاظا على مقعد العائلة، أو السير على نهج الأب في الدفاع عن مصالح المواطنين، وفق تعبيرهم؛ ففي دائرة سيدي جابر بمحافظة الإسكندرية، ترشحت سحر طلعت مصطفي، شقيقة رجل الأعمال هشام طلعت مصطفي،

المحبوس على ذمة قضية مقتل الفنانة سوزان تميم، لتحل مكان شقيقها الأكبر طارق طلعت مصطفي على قائمة "في حب مصر"، في محاولة منها لاستعادة المقعد بعد انتزاعه من قبل محمود الخضيري المنتمي لجماعة الإخوان المسلمين في البرلمان السابق، الذي جرى حله بحكم من قبل المحكمة الدستورية العليا.

في المحافظة نفسها، يخوض هيثم الحريري، نجل البرلماني السابق أبو العز الحريري، الانتخابات عن دائرة محرم بك، أملا في خلافة والده في البرلمان.

أمّا في صعيد مصر، يعد الأمر أكثر صعوبة، وربما يتسبب في خلافات حادة بين العائلة الواحدة، إذا اختلف أفرادها حول مرشح بعينه. وفي بعض الأحيان تلجأ العائلات إلى سياسة الدور في الانتخابات البرلمانية، وربما تكون المعركة أشد سخونة في محافظة قنا بجنوب مصر، المعروفة بانتمائها القبلي، حيث الصراع على أشده بين قبائل العرب والهوارة والأشراف، فكل قبيلة لديها أكثر من مرشح تدعمه وتؤازره.

وتشهد محافظ المنيا، على سبيل المثال، سباقا محموما بين وليد التوني، نجل النائب السابق محمد التوني، عن دائرة أبو قرقاص، وحازم فاروق طه، نجل النائب السابق اللواء فاروق طه. وفي دائرة مطاي يخوض الانتخابات أحمد شمردن نجل شقيق النائب على شمردن، وفي دائرة بني مزار، يخوض الصراع مصطفي خالد فتح الباب، نجل النائب السابق خالد فتح الباب.

ويجمع مراقبون على أنّ هذه العائلات تبحث عن مقعد في البرلمان من أجل دعم ثرائها المادي لاكتمال الوجاهة الاجتماعية.

وفي هذا الصدد، أكّد جمال زهران أستاذ العلوم السياسية، في تصريح لـ " العرب"، أنه ضد عملية توريث مقاعد البرلمان، وأنه لن يصلح حال الحياة السياسية في مصر، إذا استمرت هذه العملية، مشيرا إلى انعدام الكفاءة والحنكة السياسية لدى أغلب المرشحين بسبب عملية التوريث. واستشهد زهران بكلمة الراحل عمر سليمان، نائب رئيس الجمهورية السابق ورئيس جهاز المخابرات العامة، حين قال "الشعب

المصري غير مؤهل للديمقراطية". ولفت إلى "أنّ نظام مبارك يعيد نفسه مرة أخرى فيما يتعلق بالبرلمانيات"، ولذلك فهو يعتبر "أنّ الانتخابات البرلمانية الحالية غير مجدية ولن تحقق مصالح الشعب المصري لأنّ من يؤيدون التوريث لا تعنيهم مصالح الوطن بقدر اللهث وراء كرسي البرلمان".

البحث عن النفوذ

يؤكد عدد من المحللين والمتابعين للمشهد السياسي المصري أنّ شهوة السلطة والاحتماء بالحصانة الدبلوماسية، تبدوان الهدف الأول والأهم بالنسبة لعشاق كرسي البرلمان. وفي هذا السياق قال سعيد صادق أستاذ علم الاجتماع السياسي بالجامعة الأميركية بالقاهرة، "إنّ الأمر في الصعيد ودلتا مصر يختلف تماما عن القاهرة، حيث تسعى العائلات الكبيرة لحصول أحد أفرادها على مقعد في البرلمان، وهو ما تعتبره حماية لمصالح العائلة، بل وربما القرية كلها". وأوضح أن هؤلاء يعيشون خارج العملية السياسية تماما، فلا يعنيهم تعديل دستور أو تغيير قوانين، بقدر الحفاظ على استمرار مكانتهم وسط أهل القرية، لذلك يحرصون على إسداء جميع الخدمات للمواطنين.

محيي الدين محمد، وهو مهندس من محافظة قنا، قال العرب" إنّ "توريث الانتخابات البرلمانية يعود إلى ثقافة القبيلة، لأنّ العائلة الواحدة تلتف وتتّحد حول شخص واحد من أجل الحصول على عضوية البرلمان"، موضحا "أنّ المال يلعب كذلك دورا مهما في العملية الانتخابية، إلى جانب نفوذ العائلة، ولا علاقة للخبرة السياسية بذلك". وأشار إلى "أنّ الأمر في القرى مختلف، حيث أنّ الناس معنية فقط بمن يقدم لها الخدمات، ومثل هذه الخدمات لا يقدر على تلبيتها سوى الأثرياء".

طاهر المصري، وهو أستاذ متخصص في علم الاجتماعي السياسي، قال بدوره، "إنّ العادات تحتاج إلى سنوات طويلة لتتغير"، لافتا إلى أنّ الطابع البدوي أو القبائلي، الذي ما زال قادرا على فرض نفسه، هو نتاج طبيعي لتجاهل الدولة لبعض المناطق

على مستوى التعليم والخدمات، فكان بديل مواطني تلك الجهات الاعتماد على العائلات الكبيرة التي يمكن أن تقدم لهم خدمات بديلة وتستغلهم بالتالي لأغراض انتخابية فيلبّون ذلك. وأضاف المصري في معرض تصريحه العرب" أنّ إدارة العمليات الانتخابية ليست سهلة وتحتاج إلى الخبرة في هذا المجال، وهو ما تتمتّع به عائلات بعينها.